متابعة

في محاضرته التي ألقاها ضمن فعاليات «معرض الدوحة للكتاب»، منذ أيام، تطرّق الباحث التونسي إلى بعض ما يعيق تأصيل النقد الفنّي في الثقافة العربية، وهو ما يشبّهه بعملية تحطيل للعين وشطب لممكنا تها الثقافيّة لدى الجمهور والنقّاد على حدّ سواء

نزار شقرون عن منزلة النقد الفني في الثقافة العربية

إعادة تركيب أبجديّات العين

الدوحة ـ **العربي الجديد**

كثيراً ما تُستدعى العلاقة التاريخية بين العرب والصورة عند الخوض في موضوع الثقافة البصرية عربياً؛ إذْ يُعدّ - في سياق تفسير ضعفها في الثقافة العربية - إلى التذكير بهذا التاريخ الذي وُضعت فيه الصّورة ضمن مكانة هامشية، بالمقارنة مع فنون كتابية وشفاهية أخرى، لأسباب دينيّة في الغالب تمثّلت في تحريم «التصوير»، وإنْ لم يخلُ الأمر من استثناءات قليلة من قبيل رسومات يحيى بن محمود الواسطي في بدايات القرن الثالث عشر الميلادي، فضلاً عن أنّ تلك الإكراهات أدّت، من جهة أخرى، إلى البحث عن بدائل أخرى للرسوم التشخيصية تمثّلت في الخطّ العربي والزخرفة اللذين سيُشكّلان عماد ما يُعرف بالفنون الإسلامية التي ستبرز وتتطوّر وتزدهر على مدار قرون.

من الإصدارات الحديثة التي تتناول إشكاليات الثقافة البصرية عربيّاً كتاب «بحثاً عن هوية» (موالِيد صفاقس، 1970)، والذي صدر حديثاً عن «دار لوسيل» في الدوحة، وهو عملٌ يندرج ضمن انشغالاته بالفنون البصرية من منظور ثقافي شامل. وقد جرى تقديم هذا العمل في نَدوةٍ أُقيمت نهاية الأسبوع الماضي، ضمن فعاليات الدورة الواحدة والثلاثين من «معرض الدوحة الدولي للكتاب»، وقدّم فيها المؤلّف مداخلة بعنوان «التفكير في التجربة الجمالية».

يقول شقرون في مداخلته: «لا يُمكن النظر في إشكالية النقد الفنّي خارج القضيّة العمدة، وهي منزلة النقد في ثقافتنا العربيّة عموماً. لو عدنا إلى مساءلة مصطلح «النقد الفنّي»، فسنرى أنّ تاريخنا الثقافي لا يحتمل هذا المصطلح، فأغلب النقد تصدّى للشعر، من لحظة قدامة بن جعفر النقدية.

وحتّى في الغرب، فالمصطلح نفسه لم يظهر إلّا في حدود القرن التاسع عشر، مع ديدرو وبودلير، في تفاعل مع ما نظّر له جيامباتيستا فيكو الذي احتوى كتابه القيّم «منهج دراسات عصرنا» على التمرين على النقد وربط فعل النقد بالمجتمع، ولا ننسى الدعامة الفلسفية التي وفّرها إيمانويل كانط للنقد أيضاً في تناوله لملكة الحكم».

يضيف: «وبما أنّ «النقد الفنّي» مجالٌ بكرٌ قياساً بفروع أخرى في الخطاب والمعرفة، فإنّه ما يزال محلّ التباس علمي بالأساس، فهو متّصل بتاريخ الفنّ وفلسفة الجمال ونظريّات الفنّ وبعلم المصطلحات، فلا يكون خطابه خالياً منها.

وإذا كان خطابنا النقدي العربي يتصدّى للأنواع الأدبيّة، فإنّه نجح في تصدّيه للفنون البصريّة عامّة، ذلك أنّ دخول هذه الفنون، من فنون تشكيليّة، ومسرح، وسينما وغيرها، إلى العالم العربي كان متأخّراً قياساً بظهورها في الغرب، وارتهن الخطاب الجمالي في ثقافتنا ببعض الفنون ومنها فنون الخط والزخرفة والعمارة، بسبب سطوة الذهنيّة الفقهية العربية التي منعت «التصوير» فعطّلت قدرات المبدع العربي وأفقدت حضارتنا منتجات بصريّة كثيرة قياساً بما توفّر لدى حضارات أخرى».

يشبّه الباحث التونسي ما حدث في ثقافتنا بعملية «تعطيل للعين»، موضّحاً ذلك بأن خطاب التحريم أدّى إلى «شطب ممكنات العين الثقافيّة. لذلك لم ينشأ إلّا خطاب نقدي قليلٌ عن الفنون التي وفدت في القرن العشرين، حيث ابتلي الأوعي النقدي بهذا المنع، ومثلما حوصرت الفنون وخاصّة التشكيليّة منها بالنظرة الاجتماعيّة الدونيّة، حوصر النقدُ باعتباره - في جزء من أدواره - خطاباً واصفاً لهذه الفنون ومعرّفاً بها، قبل أنْ يكون حكماً عليها»، بحسب تعبيره.

يتابع شقرون بالقول: «قبل قرن، ذكر الشيخ محمّد عبده أنّ العرب يعرفون «ديوان الأحوال» ولكنّهم لا يعرفون «ديوان الهيئات»، ويقصد بذلك بأنّ الثقافة العربيّة إلى يومنا حولها، وهو ما يؤكّد أنّ الثقافة العربيّة ليست غير نسقٍ مغلقٍ بحاجة إلى تنوير وتنوير. لهذا لا يتسنّى لهذا الجيل أن يصطنع خطاباً نقديّاً حول الفنون البصريّة، بالشكل العميق، في سياق تحريمي/ تجريمي للفنون».

يقول، هنا، الباحث التونسي: «إنّنا نعيش أمّية بصريّة حقيقيّة، وهو ما أتاح للدوائر الغربيّة أن تتسلّل إلى أعماقنا وتغيّر من تفكيرنا وأنماط عيشنا من خلال الصّورة، ففي حين يتحدّثون في الغرب قبل عقود عن «مجتمع الفرجة» و«مجتمع الصورة»، فإنّنا نعيش بتفاوُت من بلد عربي إلى آخر، في مجتمع «الحديث» والمشافهة. إنّ فيلماً أميركيّاً يقدر على تغيير سلوك شبابنا في مدّة وجيزة، بينما تعجز أطنان من الكتب على إحداث تغيير في عشرات السنوات».

وعلى مستوى آخر، يشير شقرون إلى عدم توفّق العرب في إبداع «أيقونات» تمثّل عذاباتهم ونكباتهم وتطلّعاتهم، حتى أنه «حين نريد أنْ نستدلّ على أنظمة الاستبداد ومساوئها نستحضر «غيرنيكا» بيكاسو، أي نستدلّ على أنفسنا بالذاكرة البصريّة الغربيّة لخلوّ ذاكرتنا البصريّة من الأعمال الفنيّة العميقة، وإن وُجدت بعض الأعمال العربيّة، فإنّها مهملة بسبب غياب رافعة النقد».

يعتبر صاحب كتاب «نشأة اللوحة في الوطن العربي» أنه «قبل أن يكون النقد الفنّي مجالاً يمتلكه نقّاد الفنّ، فإنّنا مدعوّون إلى تربية الناشئة على النقد، وقبله «تربية العين» لديهم حتّى لا تبقى وظيفتها بيولوجيّة فقط، وتترقّى إلى الوظيفة الثقافيّة، وهذا يحتاج إلى رفع الوعي بأهمية الفنون في الوطن العربي، لرفع ذائقة المجتمع، فمن الصعب بناء خطاب نقدي والحديث عنْ «ناقد» فنّي في سياق ثقافي ليس فيه أبجديّات ثقافة العين، على أنّ النقّاد القلائل في هذه الفترة مدعوّون للأسف إلى لعب أدوار ليست من ضمن أساسيات دورهم ومنها تبسيط المعرفة البصريّة لأبناء المجتمع، وهو دور من المفترض أن تتكفّل به مؤسّسات وهيئات ثقافيّة حكوميّة ومجتمعيّة».

نزار شقرون خلال الندوة

النقّاد العرب اليوم مدعوّون إلى تبسيط المعرفة البصرية

يؤثّر فيلمٌ أميركي فينا كما لا تفعل أطنانٌ من الكتب

تُجلّ الشّعر وغيره من المرويّات، إلاّ أنّها لم تستقبل بعدُ ما يتعلّق بالصورة، وتُعتبر فتوى الشيخ عبده عن إباحة الصّور والتماثيل في تلك اللحظة التاريخيّة التي وُسمت بدعوة إلى الإصلاح الديني، من أهمّ الوثائق التي تصدّت لقضيّة خلافيّة إلى الآن، ومن الغرابة أن يستمرّ هذا الجدلّ

بطاقة

يندرج كتاب «بحثاً عن هوية» ضمن انشغالات نزار شقرون بالفنون البصرية من منظور ثقافي، وقد سبقته مؤلّفات من بينها: «معاداة الصورة بين الشرف والغرب» (2008)، و«مكائيفات الصورة في اللوحة والكاريكاتير» (2009)، «وشاكر حسن آل سعيد ونظريّة الفنّ العربي» (2010)، و«رهانات الفنّ الغربي المعاصر» (2013)، و«الحداثة المعمارية من الطراز الى التعبير الحر» (2013)، و«نشأة اللوحة في الوطن العربي» (2017).

معرض

الإسكندرية 1920 ريّا وسكينة وحكاياتٌ أُخرى

استحضار يوميات قديمة

في معرض التشكيلية المصرية، المقام حالياً في الإسكندرية، أربعون لوحةً تستحضر فيها من مظاهر الحياة اليومية في المدينة مطلع القرن الماضي

الإسكندرية ـ **العربي الجديد**

قبل قرابة شهر، احتضَن «غاليري آرت كورنر» في القاهرة معرضاً للتشكيلية المصرية غادة النجّار، بعنوان «حكايات ريّا وسكينة»، ضمّ قرابة ثلاثين لوحة أنجزتها في السنوات الأخيرة، واستلهمتها من حكاية السيّدتَين اللتين تذكّر مراجع تاريخية بأنّ صيتهما ذاع في بداية عشرينيات القرن الماضي، بسبب تكوينهما عصابةً في مدينة الإسكندرية لاستدراج النساء وقتلهنّ بهدف السرقة.

من خلال حكايات ريّا وسكينة، اقتربت لوحاتُ المعرض من أجواء الإسكندرية خلال العشرينيات، وهي الفترة التي تُخصّص لها النجّار معرضها الجديد، «الإسكندرية 1920»، الذي افتُتح الأحد الماضي في «المركز الثقافي الفرنسي» بالإسكندرية، ويتواصل حتّى السادس والعشرين من كانون الثاني/ يناير الجاري.

هذا هو المعرض العاشر للتشكيلية المصرية، وفيه أربعون لوحةً رسمتها بتقنية الأكريليك على القماش بأحجام مختلفة، ضمن أسلوب يقترب من التعبيرية الواقعية. وكما في معرضها السابق، تحضر في المعرض الحالي وجوهٌ وأماكن مرتبطةٌ بقصّة ريّا وسكينة؛ مثل «حيّ اللبّان» الذي عاشتا فيه، و«زنقة الستّات»؛ أحد الأمكنة التي كانتا تصطادان فيها ضحاياهما، وهو شارع ضيّقٌ كانت السكندريّات - ولا زلن إلى اليوم - تقصدنه لشراء أغراضهنّ.

إضافةً إلى ذلك، تحضر في لوحات المعرض مظاهر من الحياة اليومية في الإسكندرية خلال العشرينيات: شواطئ وشمسيّات وفتياتٌ بملابس البحر، حفلاتٌ وأعراس وطقوس زار، نساءٌ في الشارع أو البيت بأزيائهنّ الشعبية؛ مثل «الملايات اللفّ» والمنديل السكندريّ والفستان السكندريّ، نساءٌ أرستقراطيات، فنادقُ ومقاهٍ قديمة، سوق سمك. ثمّة أيضاً لوحاتٌ عن الفرق الفولكلورية التي كانت تأتي إلى المدينة من جنوب مصر، والآلات الموسيقية المنتشرة في تلك الفترة، مثل الربابة، إلى جانب العود والكمنجة.

في حديثٍ إلى «العربي الجديد»، تقول غادة النجّار إنّ المعرض هو تكملةٌ للسابق، لكنّه أشمل منه؛ حيث «كان اشتغالي على شخصيّتَي ريّا وسكينة، وبقيّة الشخصيات التي تنتمي إلى عصابتهما، مثل حسب الله وعبد العال، مدخلاً إلى رسم المدينة خلال العشرينيات». وتوضّح: «بدأت حكاية المعرض من صُوَر فوتوغرافية، وجدتُها على الإنترنت، لأفراد العصابة التي أثارت الذعر في الإسكندرية عامَي 1919 و1920. اعتمدتُ على هذه الصُّوَر كمصدر يُقرّبني من أجواء تلك الحقبة في لوحاتٍ حملت أسلوبي وانطباعي الذاتي عن تلك الشخصيات».

تحضر في اللوحات وجوه وأماكن مرتبطة بقصّة ريّا وسكينة

تُضيف: «لاحقاً، توسّعتُ أكثر في البحث في تلك الفترة، بالاعتماد على صُور فوتوغرافية وأفلام وثائقية عن الإسكندرية وأخرى روائية قديمة صُوّرت فيها، وأيضاً من خلال زيارة الأسواق والمقاهي والمعالم القديمة مثل «قلعة قايتباي»، واقتناء الملابس الدارجة في العشرينيات، والتي استعنتُ بمُوديلات، لرسمها».

إلى جانب الحياة الشعبية والأزياء التقليدية ذات الألوان البرّاقة التي كانت سائدةً في المدينة، يحضُر في لوحات أخرى الطابعُ الأرستقراطي للمدينة التي تُشير النجّار إلى أنّها عاشت «فترة ذهبية» خلال العشرينيات، بفضل التنوُّع الثقافي الذي كان موجوداً فيها، قبل أن تختتم حديثها إلى «العربي الجديد» بالقول: «أرسُم الإسكندرية في العشرينيات لأنّني أحبُّ هذا الفترة، ولطالما وددتُ لو أنّني عشتُ فيها».

«الزار»

«زنقة الستّات»

«مقهى على شاطئ الإسكندرية»، أكريليك على قماش، 240 × 120 سم

صوت جديد

من جيل عاش أكثر من زمن

روشا داخاز

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

دهوك ـ **العربي الجديد**

■ كيف تفهمين الكتابة الجديدة؟

وجب على الكتابة أن تصنع نفسها بنفسها بتلقائيّة بحتة؛ فالتصميم والتأطير السابق لها يفسدها. أتذكر، هنا، نزار قباني حين يقول إنّ «الشرط الأساسي في كلّ كتابة جديدة هو الشرط الانقلابي». وأنا ككاتبة، أطمحُ أن أحقّق هذا الشرط في كتاباتي، والأهم أن أقرأ لمن يُحقّقه لي في كتاباته، فذائقة القارئ هي ما يخلق نوعيّة الكتابة السائدة في كلّ زمان ومكان. واليوم نلاحظ أن الجديد الموجود مستنسخ عن الجديد الذي كان، أما السيئ فقد بات أسوأ بكثير. والأنكى، نجد أنّ السيئ هو ما يُسوَّقُ له ويُوضع في الواجهة، لأنّ الذائقة باتت في أدنى مستوياتها، حتى امتلأت الرفوف بنتاجات فارغة من أي مضمون. ورغم كلّ هذا، يبقى الفريد يُهيمن بفرادته، والمتميز يفرض تميّزه.

■ هل تشعرين نفسك جزءاً من جيل أدبيّ له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

أرى أنّني من جيل عايش أكثر من زمن، وأكثر من حرب وأكثر من كارثة وظرف، وكان بالإمكان أن يكون جيلي أكثر استثنائية في منتوجه الفكري، لولا وجود من يحاولُ تجميل الخراب طوال الوقت بدل إنهائه، وذلك ما سبّب مَزيداً من التشوّه في الثقافة والعقل. لكن يبقى المجد لمن يدعو إلى التغيير، ولمن يخرج عن السائد ويتمرد على المعتاد، ويؤلّف من المألوف اللامألوف. أعتقد أن هناك بوادر خير لولادة مثل هذا الجيل من الكتّاب، ولا شكّ أن الكاتب المميّز هو من يضفي ملامحه على جيله، لا الذي يضفي جيله ملامحه عليه، وهذه سمة العادي.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

حميميّة وخاصّة جدّاً، ويغلب عليها طابع النوستالجيا، وأعتقد أن لمجال التاريخ الذي تخصصتُ فيه دورا كبيرا في ذلك، ناهيك عن تأثير حكايات الجدّة والأب والأم والأخت الكبرى في إيقاد شعلة السرد لدي، إضافةً إلى الحوارات الطويلة، التي أجريها

اطمح أن تُترجَم أعمالي يوماً ما إلى الكردية والإنكليزية

روشا داخاز

بطاقة

كاتبة عراقية من مواليد الموصل عام 1989، حاصلةٌ على بكالوريوس في الآداب من قسم التاريخ. تقيم في دهوك وتعمل منذ 2016 في إحدى المنظمات الإنسانيّة شمال العراق. أصدرت روايتها الأولى «بقايا» عن دار «سطور» و«سنا» في العراق عام 2021.

طوال الوقت في ذهني، مع أصداء وأصوات الأمس وشخصيّات الزمن الماضي، من شعراء وفلاسفة ومفكرين.

■ كيف تصفين علاقتك مع البيئة الثقافيّة في بلدك؟

اعتبر البيئة العراقية وسطاً منتجاً وحيوياً، ويستند إلى إرث والتماعات ثقافيّة لا بأس بها. لكنّني أتحفظ بمسافة شخصيّة هي أشبه بعزلة اللؤلؤ، لأنّ عوالمي خاصة وهموم إنتاجي تُعدّ أولويّة، لكن على صعيد آخر، فأنا أتلقّى الدعم والتشجيع من كُتّاب في العراق وخارجه، وأتلقى طوال الوقت رسائل وإيميلات تهنئة وإشادة بالعمل الذي حقّقته، وهذا شيءٌ أفتخر به ويشجعني كثيراً على الاستمرار، ولا شكّ أنّني ممتنّة للكثير من الكتّاب والقرّاء على دعمهم لي وإيمانهم بي.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

عند الثامنة والربع من مساء بعد غد الاثنين، تنظّم «جمعية التعاون الفرنسي السوري» امسيةً في سينما «كاميو» بمدينة نانسي (شرق) حول فيلم **فلسطين الصُّغرى** للمخرج الفلسطيني السوري **عبد الله الخطيب**. يُعرَض الشريط، الذي يتناول حصار مخيّم اليرموك، في العديد من السينمات الفرنسية هذه الايام.

ابتداءً من اليوم وحتى الخميس المقبل، يُقام في «قاعة سينماتيك» بالجزائر العاصمة **اسبوع الفيلم الوثائقي** الذي يشهد عرض 13 وثائقيا جزائريا؛ من بينها: **بحرنا** لـ **فتيحة عفيان**، و**الجسم + الفن** لـ **فاطمة الزهراء زعموم**، و**143، شارع الصحراء** (الصورة) لـ **حسن فرحاني**، و**الالقاب الجزائرية والحقد الفرنسي** لـ **فتيحة بورويح**، و**الامير عبد القادر** لـ **سالم براهيمي**.

في «مركز الجزيرة للفنون» بالقاهرة، يستمرّ حتى التاسع والعشرين من الشهر الجاري معرض بعنوان **الشركة المقابلة**. يجمع المعرض قرابة مئة عمل لأربعة تشكيليّين مصريّين؛ هُم: **سامح إسماعيل**، و**محمد خضر** (اللوحة)، و**معتز الإمام**، و**ياسر جعيصة**، تتوزّع بين التصوير الفوتوغرافي والرسم بخامات مختلفة.

يحتضن فضاء «فنّ وشاي» في جبل اللويبدة بعمّان، عند السادسة والربع من مساء الثلاثاء المقبل، جلسةً يقرأ فيها الكاتب **عمر زكريا** مقاطع من روايته **القرطبي يستيقظ في الإسكندرية**. العمل، الذي صدر نهاية العام الماضي عن دارَي «الاختلاف» و«ضفاف»، يتناول فترة النهضة العربية نهاية القرن التاسع عشر.